

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ
الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: 161 - 162]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها قصّة بعد قصّة من قصص بني إسرائيل التي تبين إنعام الله تعالى عليهم، فلما "ذكر ما حباهم في القفار، أتبعه إنعامه عليهم عند الوصول إلى الدار"^(١)، فقال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، فبعد أن أنعم عليهم بالزاد الوفير في التّيه، أنعم عليهم بالإيواء إلى قرية فيها السّكن مع الزاد والماء، تفضلاً منه، وتمهيداً لحكاية جناية أخرى من جناياتهم.

تَبْدِيلُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ
وظْلُمُهُمْ، رَغَمَ
الْإِنْعَامِ فِي تِيهِ
الْقَفَارِ، وَمَا فِي
الْقَرْيَةِ مِنْ قَرَارٍ

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْقَرْيَةَ﴾: "القرية معروفة، والجمع القرى على غير قياس؛ لأنّ ما كان على فعلة بفتح الفاء من المعتلّ فجمعه ممدود، مثل ركوة وركاء، وظبية وظباء. وجاء القرى مخالفاً لبابه لا يُقاس عليه. ويُقال: قرية لغة يمانية"⁽²⁾. و(قرى، قري) أصلٌ يدلُّ على جُمع واجتماع. يُقال: قَرِيتُ الماء في الحوض؛ أي: جمعته، مِنْ ذَلِكَ الْقَرْيَةِ الْمَصْرُ الْجَامِع، وكلُّ موضع يجتمع فيه ناس، والنّاس المجتمعون أَيْضًا، سُمِّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا⁽³⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/135.

(2) الجوهري، الصحاح: (قرا).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّاغب، للفردات، والفريزوبادي، بصائر ذوي التمييز: (قري، قري).

(2) ﴿حِطَّةٌ﴾: (حطَّ، حطط) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِنْزَالِ الشَّيْءِ مِنْ عُلوٍّ، الحَطُّ: الوَضْعُ، حَطَّهُ يَحْطُهُ حَطًّا فَانْحَطَّ، وهو وَضْعُ الْأَحْمَالِ عَنِ الدَّوَابِّ. وَحَطَّ اللَّهُ عَنْهُ وَزَرَهُ، فِي الدُّعَاءِ: وَضَعَهُ، مَثَلٌ بِذَلِكَ؛ أَي: خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ ظَهْرِكَ مَا أَثْقَلَهُ مِنَ الْوِزْرِ.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ كلمةٌ أَمَرَ بِهَا بنو إِسْرَائِيلَ، ومعناها: اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا أَوْزَارَنَا⁽¹⁾، "وقال الفراء: في قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: 58]، يُقَالُ: وَقُولُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ: حِطَّةٌ؛ أَي: هِيَ حِطَّةٌ، فَخَالَفُوا إِلَى كَلَامِ النَّبِطِيَّةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 59]"⁽²⁾.

(3) ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾: (خطأ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَعَدِّي الشَّيْءِ، وَالذَّهَابِ عَنْهُ، يُقَالُ خَطَوْتُ أَخْطُو خُطْوَةً، وَالْخَطَأُ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ مُجَاوِزَةٌ حَدِّ الصَّوَابِ، يُقَالُ أَخْطَأَ إِذَا تَعَدَّى الصَّوَابَ، وَخَطِئَ يَخْطِئُ، إِذَا أَذْنَبَ؛ لِأَنَّهُ يَتْرُكُ الْوَجْهَ الْخَيْرَ. وَالْخَطِيئَةُ: الْإِثْمُ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَفِيهِ لَفْتَانِ: الْقَصْرُ وَهُوَ الْجَيِّدُ، وَالْمَدُّ وَهُوَ قَلِيلٌ⁽³⁾.

(4) ﴿فَبَدَّلَ﴾: (بدل) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قِيَامِ الشَّيْءِ مَقَامَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ. يُقَالُ: هَذَا بَدَلُ الشَّيْءِ وَبَدِيلُهُ، بَدَلَ الشَّيْءِ وَبَدَلَهُ وَبَدِيلُهُ: الْخَلْفُ مِنْهُ، الْإِبْدَالُ وَالتَّبْدِيلُ: جَعَلَ شَيْءٌ مَكَانَ آخَرَ، وَالْأَصْلُ فِي التَّبْدِيلِ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ، وَالْأَصْلُ فِي الْإِبْدَالِ جَعَلَ شَيْءٌ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ⁽⁴⁾، وَ"الْبَدَلُ: خَلْفٌ مِنَ الشَّيْءِ، وَالتَّبْدِيلُ: التَّغْيِيرُ، وَاسْتَبَدَلْتُ ثَوْبًا مَكَانَ ثَوْبٍ، وَأَخًا مَكَانَ آخٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ الْمُبَادَلَةِ"⁽⁵⁾.

(5) ﴿رَجْزًا﴾: (رَجَزَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ. الرَّجْزُ: ذَاءٌ يُصِيبُ الْإِبِلَ فِي أَعْجَازِهَا؛ بِأَن تَضْطَرِبَ رِجْلُ الْبَعِيرِ أَوْ فَخِذَاهُ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ أَوْ ثَارَ سَاعَةٌ ثُمَّ تَتَبَسَّطَ. الرَّجْزُ: الْقَدَرُ، مِثْلُ الرَّجْسِ. وَالرَّجْزُ: الْعَذَابُ⁽⁶⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا﴾؛ "وَالرَّجْزُ إِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى الْعَذَابِ الْمَوْجِبِ لِلْاضْطِرَابِ، يُقَالُ ارْتَجَزَ إِذَا ارْتَعَشَ"⁽⁷⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (حطَّ، حطط).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (حط).

(3) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والسَّمين الحلي، العمدة: (خطأ).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بدل).

(5) الخليل بن أحمد، العين: (بدل).

(6) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خطأ).

(7) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/193.

وقيل: "إِنَّ مَعَادًا أَصَابَهُ الطَّاعُونَ، فقال عمرو بن العاص: لا أراه إِلَّا رَجَزًا أَوْ طُوفَانًا، فقال معاذ: ليس بِرَجَزٍ وَلَا طُوفَانٍ. قد جاء ذِكْرُ الرَّجَزِ مَكْرَرًا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَهُوَ بِكَسْرِ الرَّاءِ: الْعَذَابُ وَالْإِثْمُ وَالذَّنْبُ. وَرَجَزُ الشَّيْطَانِ: وَسَاوِسُهُ"⁽¹⁾.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قِصَّةٍ مِنْ قِصَصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ الَّتِي قِيلَ: إِنَّهَا (إِيلِيَاءُ)، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ، غَزِيرَةُ الثَّمَارِ، رَغِيدَةُ الْعَيْشِ، وَكَلُوا مِنْ ثَمَارِهَا مِنْ أَيِّ مَكَانٍ، وَفِي أَيِّ وَقْتٍ شِئْتُمْ، وَقُولُوا: يَا رَبَّنَا، حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا، وَادْخُلُوا الْبَابَ خَاضِعِينَ لِرَبِّكُمْ، مُسْتَكِينِينَ لِعَزَّتِهِ، شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ. فَأَمَرَهُمْ بِالْخُضُوعِ، وَسُئِلَ الْمَغْفِرَةَ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَغْفِرَةً ذُنُوبِهِمْ، وَالثَّوَابَ الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ، فَلَمْ يَمْتثلُوا هَذَا الْأَمَرَ الْإِلَهِيَّ، بَلْ عَصَوْا اللَّهَ، وَاسْتَهَانُوا بِأَمْرِهِ، فَغَيَّرَ الظَّالِمُونَ مِنْهُمْ الْقَوْلَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ، عِوَضًا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنْ طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، وَغَيَّرُوا الْفِعْلَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ بَدَلًا مِنَ الدَّخُولِ خَاضِعِينَ لِلَّهِ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ؛ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ خُرُوجِهِمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ، مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ أَلْجَأَتْهُمْ، وَلَا دَاعٍ دَعَاهُمْ سِوَى الْخُبْتِ وَالسَّرِّ الَّذِي كَانَ كَامِنًا فِي نَفْسِهِمْ⁽²⁾.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دَلَالَةُ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾:

قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: افْتَتَحَ بِالْوَاوِ

الْأَمْرُ بِسُكْنَى
إِيلِيَاءِ وَالتَّمَتُّعِ
وَالشُّجُودِ، وَمَا
نَزَلَ مِنْ رَجَزٍ
بِسَبَبِ تَبْدِيلِ
الْعَهْدِ

غَرَضُ (الْوَاوِ)
فِي الْآيَةِ، عَطْفُ
الْقِصَّةِ عَلَى
الْقِصَّةِ

(1) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: 2/200.

(2) السَّعْدِيُّ، تَبْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: 306، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لِلْخُتْصَرِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: 1/171.

الاستثنائية⁽¹⁾؛ للشروع في قصّة جديدة عن أسلافهم، فلمّا ذكر إنعامه عليهم، وهم في البرّ والقفار، أتبعه بإنعامه عليهم بدخولهم الحواضر؛ ليكون دليلاً على صدقه، إذ يخبرهم بما لم يكن حاضرًا ولا أخذه عنهم⁽²⁾، فهو "تذكيرٌ بنعمةٍ أخرى مُكّنوا منها، فما أحسنوا قبولها ولا رعوها حقَّ رعايتها"⁽³⁾، فهذه الواو هي من باب عطفِ القصّة على القصّة.

معنى (إِذْ) وموقعها الإعرابي، في قوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، عبّر عن زمان القصّة بالظرف (إِذْ) الدالّ على الزّمان الماضي، وهو منصوبٌ بفعلٍ مُضمرٍ، خُوطب به النّبي ﷺ؛ أي: اذكر لهم وقت قوله تعالى لأسلافهم اسكنوا⁽⁴⁾؛ المعنى: واذكر "إِذْ قِيلَ لَهُمْ"⁽⁵⁾.

نكتة بناء الفعل ﴿قِيلَ﴾ لما لم يُسمَّ فاعله:

جاء الفعل ﴿قِيلَ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا﴾، مبنياً للمفعول، وحذِفَ الفاعلُ، فلم يُقل: (قلنا)، كما في سورة البقرة؛ لأنّ الفاعلَ معلومٌ⁽⁶⁾، فأوجز العبارة بحذفه. وإيراد الفعل "مبنياً للمفعول جرّياً على سنن الكبرياء، مع الإيذان بأنّ الفاعل غنيٌّ عن التّصريح"⁽⁷⁾. كما أنّ فيه إعراضاً عن إكرامهم بخطاب الله تعالى لهم؛ لأنّ "السّياق للغضبِ عليهم تساقطهم في الكفر، وإعراضهم عن الشّكر، من أيّ قائلٍ كان، وبأيّ صيغةٍ ورد القول، وعلى أيّ حالةٍ كان"⁽⁸⁾.

الزّمن في القصّة
القرآنيّة تتعلّق
به الأحداث،
وحركة
الشّخصيّات

عَرَضُ السّياق
بيان السّقوط
في الكُفر،
والإعراض عن
الشّكر

(1) الدّرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 3/648.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 8/135.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/512.

(4) ابن عطية، للحزّ الوجيز: 2/466، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283، والهريري، حقائق

الروح والريحان: 10/210.

(5) ابن عطية، للحزّ الوجيز: 2/466.

(6) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 4/173.

(7) الألوسي، روح المعاني: 5/83.

(8) البقاعي، نظم الدرر: 8/135.

معنى اللام في ﴿لَهُمْ﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، جاء الفعل (قال) مُتَعَلِّقًا بِاللَّامِ؛ للدلالة على التعليل في إيصال القول لهم؛ لبيان أنّهم هم المقصودون بالقول، وأنّه قولٌ اختصّهم به، فأفادت اللام أنّ القول هذا مُخَصَّصٌ لجهةٍ معيّنة، كما أنّه مُشعِرٌ بتأكيد مضمون القول.

دلالة عود الضمير ﴿لَهُمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، وفيه أنّ المراد بالضّمير الغائب في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾، اليهودُ الذين عاشوا في التّيه، وهم أسلافُ المعاصرين للنبي ﷺ؛ "أي: اذكر لهم وقت قولنا لأسلافهم"⁽¹⁾.

فائدة التّصريح بالمقول له:

في قوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ صرّح بالمقول له، ولم يقل: (وَإِذْ قِيلَ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)؛ تأكيداً لوصول القول إليهم، وأنّهم قد سمعوا القول، فانتفت أسباب عدم استجابتهم، كما أنّه يدلُّ على أنّهم هم المقصودُ بالمقول، وأنّ القائل قد واجههم بهذا المقول، وفيه إشارةٌ إلى أنّ مثلَ هذا القول، لم يُقلْ لغيرهم، وهو التّصريحُ لهم بالإذن في السّكن في القرية.

فائدة التعبير بفعل الأمر ﴿اسْكُنُوا﴾:

عبر في قوله جلّ شأنه: ﴿قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا﴾ عن أمرهم بالدخول إلى الأرض المقدّسة بفعل الأمر الدالّ على الوجوب ﴿اسْكُنُوا﴾؛ للدلالة على أنّ المطلوب منهم ليس مجرد الدّخول، بل الإقامة في هذه الأرض، واتّخاذها سكناً؛ "أي: ادخلوا مُطمئنّين على وجه

عَرَضُ السِّبَاقِ
تَحْدِيدُ الْجَهَةِ
الْمَقْصُودَةِ بِالْأَمْرِ
فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

الْمُتَحَدِّثُ عَنْهُمْ
أَسْلَافُ الْيَهُودِ
الَّذِينَ شَهِدُوا
التَّيَّةَ

التَّصْرِيحُ بِأَنَّ
الْقَوْلَ قَدْ وُجِّهَ
إِلَيْهِمْ، وَقَدْ
بَلَغَهُمْ، فَكَانَ
حُجَّةً عَلَيْهِمْ

أَمْرُهُمْ
بِالاسْتِيقْرَارِ فِي
الْقَرْيَةِ، هُوَ
رَفَقَ مِنَ اللَّهِ،
وَتَلَطَّفَ بِهِمْ

(1) الألوسي، روح المعاني: 5/83.

الإقامة، ولا يُسمَّى ساكنًا إلا بعد التَّوطينِ، بخلاف الدَّخول، فإنَّه يكون بمجرَّد الولوج في الشَّيء على أيِّ وجهٍ كان⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْمُؤَنَّثِ الْقَرِيبِ ﴿هَذِهِ﴾:

جاء اسمُ الإشارة في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، بصيغة المؤنَّث القريب؛ للدلالة على أنَّ القرية كانت قريبةً منهم، وضمن قدرتهم لدخولها، والقرية المشار إليها هنا بيتُ المقدس⁽²⁾.

معنى (أل) في لفظ ﴿الْقَرْيَةَ﴾:

جاء في الآية لفظُ ﴿الْقَرْيَةَ﴾ معرَّفًا بالألف واللام، والمراد بها قريةٌ معروفةٌ لهم، حاضرةٌ في أذهانهم، "وهي بيتُ المقدس"، وقيل: أريحا، وهي قريةُ الجبَّارين⁽³⁾، فهي لام العهد، والمعنى: أنَّه "دعاهم الله سبحانه أن يدخلوا القرية، وأن يسكنوها، حتَّى ينتقلوا من الصَّحراء الجديب، إلى حياة الاستقرار والسَّكن، وأن يَنعموا بما تُخرِج أرضها من جناتٍ وزروع"⁽⁴⁾.

دلالة العطف في فعل الأمر، من: ﴿اسْكُنُوا﴾ و﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾:

قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾؛ لاشتراكهما في زمانٍ واحدٍ، وإنَّما عطف "كلوا" على (اسكنوا) بالواو؛ لمقارنتهما زمانًا، بخلاف الدَّخول، فإنَّه مُقدَّم على الأكل⁽⁵⁾. والسَّكْنُ هو الاستقرارُ والمكوثُ في المكان بنية العُمُران، ممَّا يقتضي الأكل من ثمرات المكان، وجهد الإنسان، وعطاء الرِّحمن، وبالتالي فإنَّ العطف بين الأمر بالسَّكن،

الإشارة دلالة
على القرب
والتَّعظيم،
والقدس جديرة
بذلك

الأمر بسكْنَى
القرية، دعوة
للتَّحضرِ
والتَّطوُّرِ

الأكل والسَّكْنَى
مُقترنان في زمنٍ
واحدٍ، للتَّلازمِ
بينهما عادةً

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/135.

(2) ابن عطية، للحَزْر الوجيز: 2/466.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

(4) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 5/501.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

والأمر بالأكل، ممّا تتطلبه الفطرة، ومستلزمات الحياة، وضرورات الواقع المعيش.

دلالة الأمر، في قوله: ﴿وَكُلُوا﴾:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، جاء الفعل بصيغة الأمر للإباحة؛ أي: "أباحنا لكم، ووسّعنا عليكم"⁽¹⁾؛ لأنّ الإنعام بالشّيء على وجه الإباحة أقرب إلى رضى النفس، ومتى تحوّل إلى كونه واجباً، كان على النفس ثقیلاً، وشيكاً أن يؤوّل إلى الملل.

معنى (من) في قوله: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾:

جاء حرف الجرّ (من)، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، صالحاً لأن يكون دالاً على التبعية أو البيان؛ أي: كلاً "من مطاعمها وثمارها، على أنّ (من) تبعيضية، أو (منها) على أنّها ابتدائية"⁽²⁾، وفي شبه الجملة ﴿مِنْهَا﴾ تنبيه على عظم الإنعام؛ فهذه القرية ليست صالحة للسكن وحسب، بل فيها وفرة من الطعام والغذاء بما يكفي، ولو قال: (اسكنوا هذه القرية وكلوا حيث شئتم) لم يكن هناك دليل على أنّ المأكول كائن منها، ولو قال: (كلوا فيها) لدلّ على أنّ المأكول ليس من ثمارها، وكلّ ذلك إشارة إلى جودة هذه القرية، ووفرة الخير فيها.

فائدة الإظهار في موضع الإضمار:

قوله جلّ شأنه: ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، ذكر القرية مرتين، وذلك بإعادة ذكر الضمير في شبه الجملة، ولو قال: (وكلوا حيث شئتم) لصحّ المعنى؛ ولكنّه أراد التصريح بأنّ القرية فيها من الخير الوفير ما يكفيهم، فالمأكول فيه هو القرية، والمأكول منه هو القرية ذاتها، وهي نفسها مكان سكناهم، فدلّ ذلك على عظيم النعمة بهذا المكان الذي أذن لهم بأن يسكنوا فيه.

صرّح بالإذن
إرضاءً
لنفوسهم، التي
تتوقّ إلى هذا
الأمر

التّنبية على
عظم الإنعام،
بكون المأكول
منها، وليس
مجلوباً إليها

اختيار الله لمكان
السكن، فيه
مطلق النعمة
والهناءة

(1) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/190.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

فائدة تقديم شبه الجملة ﴿مِنْهَا﴾:

الخير في القرية
نعمة، مقدمة
على الأكل،
تقدم السبب
على النتيجة

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، قدّم شبه الجملة ﴿مِنْهَا﴾؛ اهتماماً بكون المأكول ناشئاً في هذه القرية، فقدّمه اهتماماً به، إشارة إلى حسن هذه القرية وجودتها؛ لاحتوائها على الغذاء الوافي لساكنها، وهذا مُشعرٌ بعظم الإنعام فقدّمه على قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، المُشعر بالرَّغْد والراحة؛ لأنه من أسبابه؛ إذ لن يتحقّق الأكل حيث شاؤوا ما لم تتحقّق الوفرة.

معنى قوله: ﴿حَيْثُ﴾:

كلّ مكان في
القرية متاح
لكم، والمشينة
مفتوحة على
الاختيار

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، عبّر عن تمكينهم من هذه القرية بإباحة الأكل منها أولاً، ثمّ بإباحة الاختيار بالأكل في كلّ مكان فيها؛ والمعنى: "أيّ مكانٍ للنبت شئتم، ممّا تُنبِت الأرض، من طعامٍ مختلف ألوانه"⁽¹⁾، ف (حيث) تدلّ على المكان، فيكون المباحّ لهم جميع أماكن القرية، وفي ذلك إشعارٌ بمزيد الإكرام، وعظيم الإنعام.

فائدة قوله: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، دلالةً وغايةً:

إباحة المكان
على حسب
مشيئتهم،
فيه تنبيه لهم
على جليل هذه
النعم

أفاد التعبير في قوله جلّ شأنه: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ الدلالة على سعة الإباحة؛ أي: هي ونعمها مباحة لكم⁽²⁾، "من غير أن يزاحمكم فيها أحد؛ فإنّ الأكل المستمرّ على هذا الوجه، لا يكون إلّا رغداً واسعاً"⁽³⁾، فأباحة الأكل بتعليقه بمشيئتهم، وإنّ كان مثلاً ذلك لا يحتاج إلى إذن، هو من قبيل التنبيه لهم على هذه النعم الجليلة.

دلالة العطف، في قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾:

شكر النعمة،
يبدأ بطلب
المغفرة من
النعم

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ معطوفٌ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2983.

(2) ابن عطية، للحزر الوجيز: 2/466.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

على قوله تعالى: ﴿أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾⁽¹⁾، فعطف الدعاء بالمغفرة على إباحة السكن والأكل؛ لأنه أول مراتب الشكر لهذه النعم.

دلالة الأمر في: ﴿وَقُولُوا﴾:

جاء فعل الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، دالاً على الوجوب؛ لكونه متعلّقاً بأمر العبادة والشكر، فطلب المغفرة واجب، على كلّ مؤمن، فدلّ الفعل على وجوب أن يقولوا ما لفّنه به، وإنّما ذكره دون غيره من الأوامر التي أوجبها عليهم؛ لأنه يعدّد عليهم ما عصوا الله تعالى به، وهو المنعّم عليهم بتلك النعم الجليلة، وليس السّياق في استقراء كلّ ما أمرهم به، وما أوجبهم عليهم، بل هو تذكير لمعاصري النّبي ﷺ، بما فعل أسلافهم.

نكتة حذف متعلّق ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾ جاء فعل القول مُطلقاً، لا أن يكون موجّهاً لمقول له؛ لأنّه ظاهر من السّياق أن المقول له هو الله تعالى، إذ تضمّن مقول القول الدعاء بمغفرة الذّنوب، ولا يكون ذلك إلّا لله تعالى، فالقول هنا تلقين لهم، بأن يقولوا مضمونه في دعائهم؛ تعليمًا لهم، ووقفًا لهم على وجوب الامتنال، وترويضًا لهم، فالحذف للإيجاز.

بلغة التعبير بـ ﴿حِطَّةً﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾، عبّر عن الاستغفار بقوله: ﴿حِطَّةً﴾، وهي على وزن "فِعْلَةٌ مِنَ الْحَطِّ كَالْجِسَةِ"⁽²⁾، والمعنى: "حطّ ذنوبنا وأمّحها بعفوك عنا"⁽³⁾، وفي التعبير بالحِطَّة إشعار بأنّ الذّنوب تُثقل صاحبها، والتّوجه إلى الله تعالى، بأن يحطّ هذه الذّنوب، هو إقرار بها أولاً، ثمّ بيان للنّدم ثانياً؛ إذ ثقلها دليل على

أوجب عليهم
الاستغفار؛
إشعاراً بأنّ
إنعامه ليس
استحقاقاً لهم

مقول القول
تضمّن الدعاء
بالمغفرة، وهو لا
يوجّه إلّا لله

في لفظ (حِطَّة)
دلالة على ثقل
الذنوب وعيبتها

(1) الهرري، حقائق الرّوح والزيّحان: 10/211.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

(3) الهرري، حقائق الرّوح والزيّحان: 10/191.

لوم النفس على المعاصي، واعتراف بعظمة الله تعالى وإعلان الخوف منه، فجاءت هذه اللفظة غاية في البلاغة.

دلالة إعراب لفظ ﴿حِطَّةٌ﴾:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، يدلّ على أنّ مقول القول لفظاً واحدة، وهي في تقدير جملة اسميّة، حُذِفَ منها المسندُ إليه، فهي "خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: مسألتنا حِطَّةً"⁽¹⁾، وفي ذلك من الإيجازِ البليغِ ما لا يخفى.

بلاغة الإيجاز في قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾:

قوله جلّ شأنه: ﴿حِطَّةٌ﴾ تعبيرٌ عن جملة اسميّة، ومهما كان التقديرُ فإنّ في التعبير عن ذلك بلفظة واحدة براعة في الإيجاز، والإيجازُ في هذا السياق حسنُ الموقع؛ إذ إنّ جاء في مقام الدّعاء بالاستغفار، تعبيراً عن السّرعة في الطّلب، وتركيزاً على المعنى المراد من الاستغفار، وهو حطّ الذّنوب، وناسب ذلك؛ لأنّه جاء تعليمًا لهم، فدلّهم على الغاية الأساس من الاستغفار.

نكتة تنكير ﴿حِطَّةٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، جاء التعبير فيه عن طلب المغفرة بقوله جلّ شأنه: ﴿حِطَّةٌ﴾ منكرة؛ للدّلالة على التّكثير أو التّعظيم، فهم يريدون الإكثار من حطّ الذّنوب عنهم مهما بلغت، على أنّهم كلّفوا أن يقولوا لفظاً ما معناها: حِطَّة، أو أنّهم كلّفوا أن يقولوا قولاً حسناً، يتضمّن الإيمان وشكر الله؛ ليكون حِطَّةً لذنوبهم⁽²⁾، وفي ذلك توسيعٌ عليهم بأن يقولوا أيّ لفظ يدلّ على طلبهم حطّ الذّنوب عنهم، بما يحسنون من التّعبير، وكلّ على قدرته ومعرفته.

الإيجازُ بذِكْرِ
اللفظِ مكانَ
الجملة، من أثرِ
البلاغةِ وأزوعِها

طَلَبُ الحِطَّةِ
إيجازٌ بليغٌ،
في الاستغفارِ
النّاسِبِ لمقامِ
التّعليمِ

اللهُ تعالى، لا
تختلفُ عليه
اللّغاتُ، ويَقْبَلُ
من عباده كلّ
العباراتِ

(1) الهرقي، حقائق الرّوح والزّحان: 10/211.

(2) ابن عطية، للحزّ الوجيز: 2/466.

دلالة العطف، في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾:

جاء قوله جلّ شأنه: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، معطوفاً على قوله تعالى: ﴿أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾⁽¹⁾، لكونهما فعليّ أمرٍ لمخاطبٍ بعينه، فطلب منهم السكّن في هذه القرية، ثمّ طلب منهم الدخول بكيفيةٍ معيّنة.

دلالة الأمر في قوله: ﴿وَادْخُلُوا﴾:

دلّ الأمر في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا﴾ على الوجوب؛ لأنّه دخولٌ مقترنٌ بالسّجود، فهو أمرٌ بالعبادة والشكر على هذه النعمة، ولما كان دخولهم هذه القرية أوّل مرّة ولن يتكرّر؛ دلّ ذلك على وجوبه فوراً عليهم.

نكتة تأخير الدخول على لفظ ﴿حِطَّةٌ﴾:

جاء قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، بعد قوله عزّ مقامه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾؛ لأنّهم "لما أمروا بالحِطَّة قولاً، أمروا أن يشفعوها بفعل؛ لِتُحَطَّ عنهم ذنوبهم"⁽²⁾، فالدخول المقترن بالسّجود ذكّر عقب تعليمهم الاستغفار، تعليمًا لهم ماذا يقولون أثناء دخولهم وخشوعهم، وهو أن يطلبوا أن يمحو الله تعالى عنهم تقصيرهم، إعلاناً بأنّهم دون استحقاق هذه النعم على الوجوب، بل على محض الإكرام والتفضّل منه ﷻ.

معنى (أل) في لفظ ﴿الْبَابَ﴾:

جاء الباب في قوله جلّ شأنه: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾، معرّفًا بالألف واللام؛ لأنّ الباب مدلولٌ عليه ضمناً عن ذكر القرية، فعلم أنّ المراد هو باب القرية، فهو من العهد الذّكريّ باعتبار أنّ الباب جزءٌ من القرية.

أوامرُ الله
عُبوديّةٌ وحكمةٌ،
وإن غابَتْ عنِ
المأمورِ العلةُ

وجوبُ دخولِ
القريةِ مُقترِنًا
بالشُّكرانِ،
تعبيرًا عنِ
عوارفِ الإيمانِ

نكتةٌ إردافِ
القولِ بالعملِ،
في ترتيبِ
الفعلِ، بعدِ
قوله (قُولُوا)

الدّلالةُ ضمناً
على دخولِ
البابِ، بدخولِ
القريةِ، والمرادُ
بأنّها

(1) الهرّي، حقائق الرّوح والزّحان: 10/211.

(2) البقاعي، نظم الدّرر: 8/136.

بلاغة التعبير بـ ﴿سُجَّدًا﴾، ودلالاتها على الحال:

دلالة الدُّخُولِ
سُجَّدًا، على
الإِخْبَاتِ
والخُشُوعِ، أو
على السُّجُودِ
الحَقِيقِيِّ

قَيَّدَ الدُّخُولَ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾⁽¹⁾ بالسُّجُودِ؛ للدَّلالة على إِقْرانِ دُخُولِهِم بِالْإِخْبَاتِ والخُشُوعِ والشُّكْرِ⁽²⁾، فأَمَرُوا "بِالسُّجُودِ عِنْدَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْبَابِ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَوَاضَعًا، وَقِيلَ: أَمَرُوا بِالدُّخُولِ بِخُشُوعٍ وَإِخْبَاتٍ"⁽³⁾، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ السُّجُودَ بِمَعْنَاهِ الْإِصْطِلَاحِيِّ فَيَسْجُدُونَ عِنْدَ الدُّخُولِ، أَوْ بِمَعْنَاهِ اللَّغَوِيِّ فَيَدْخُلُونَ خَاشِعِينَ مُتَوَاضِعِينَ.

وعلى اعتبار أنَّ دُخُولَهُم، يجب أن يكون في حالة السُّجُودِ، فقوله جَلَّ شأنُه: ﴿سُجَّدًا﴾ حالٌ؛ أي: ادخلوا "بَابَ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ حَالِ كَوْنِكُمْ سُجَّدًا"⁽³⁾، وهذه الحالُ مُفَارَقَةٌ لَيْسَتْ لَازِمَةً.

الموقع النحوي لقوله: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾:

دلالة المغفرة
بعد السُّجُودِ،
على أنها وعدٌ
مَجْزُومٌ بِوُقُوعِهِ
جَوَابًا لِلطَّلَبِ

لَمَّا أَمَرَهُم تَعَالَى بِالدُّخُولِ فِي حَالَةِ السُّجُودِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِالْجَوَابِ عَنِ الْأَمْرِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَقَالَ جَلَّ شأنُه: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، فَهُوَ "جَوَابُ الْأَمْرِ، مُتَرَتِّبٌ عَلَى دُخُولِ الْبَابِ بِقَيْدِ السُّجُودِ"⁽⁴⁾، فَجَاءَ ذِكْرُ الْمَغْفِرَةِ بَعْدَ السُّجُودِ عَلَى أَنَّهُ وَعْدٌ بِهَا، فَهُوَ مَجْزُومٌ لَوُقُوعِهِ جَوَابًا لِلطَّلَبِ الْمَعْبَّرِ عَنْهُ بِفِعْلِ الْأَمْرِ.

نكتة مجيء المضارع، في قوله: ﴿تَغْفِرْ﴾:

قابل السِّيَاقِ
الحَكِيمِ دَوَامَ
ذُنُوبِ الْعَاصِينَ،
بَدَوَامِ مَغْفِرَتِهِ

جَاءَ الْفِعْلُ فِي جَوَابِ الطَّلَبِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شأنُه: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ مُضَارِعًا؛ لِلدَّلالةِ عَلَى تَجَدُّدِ مَغْفِرَتِهِ وَاسْتِمْرَارِهَا، وَذَلِكَ يَنَاسِبُ النَّاسَ لَمَّا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنْ ارْتِكَابِ الْخَطَا، وَاجْتِرَاحِ الذُّنُوبِ، فَقَابَلَ دَوَامَ ذُنُوبِهِمْ بِدَوَامِ مَغْفِرَتِهِ ﷻ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

(2) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/190.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 8/136.

(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/191، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2984.

معنى (الآدم) في قوله: ﴿لَكُمْ﴾:

قوله جلّ شأنه: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، اللام هنا للتعليل، والمعنى: نغفر لأجلكم؛ فهم مقصودون بهذه المغفرة، وهذا التعبير أبلغ في العفو عنهم والمغفرة لهم، من التعبير بالمغفرة المطلقة.

فائدة تقديم ﴿لَكُمْ﴾ على المفعول به:

في قوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، قدّم شبه الجملة على المفعول به، فلم يقل: (نَغْفِرْ ذُنُوبَكُمْ لَكُمْ)؛ اهتماماً بهم، وإشارة إلى أنّ المغفرة تتعلق بهم، وفيه دلالة على مزيد من الإكرام للمستغفر والتائب لربه، كما أنّ تأخير الذنوب في مقام الاستغفار والوعد بالمغفرة أبلغ من تقديمها، لما يدلّ عليه التأخير من الإهمال والتغاضي.

نكتة جمع لفظ ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾:

جاء لفظ الخطيئة في قوله جلّ شأنه: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، مجموعاً دالاً على الكثرة، "إشارة إلى أنّها قليل في جنب عفوهِ تعالى"⁽¹⁾، والتعبير عن كثرة الذنوب في سياق الوعد بالمغفرة، من حسن البلاغة، لما فيه من المبالغة بسعة عفوهِ، وعظيم منته على عباده، إذ يتجاوز عن الكثير، بمجرد التوجّه له بحطّ هذه الذنوب.

بلاغة توجيه القراءات القرآنية، في ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾:

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وقرأ أبو عمرو: ﴿نَغْفِرْ﴾، وقرأ نافع: (نُغْفِرْ)، فمن قرأ بالنون، فكأنّه قيل: ادخلوا نغفر؛ أي: إن دخلتم غفرنا، أمّا قراءة نافع بالتاء فلائّه أسند إليها ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ وهو مؤنث، فأثت الفعل بالتاء، وأمّا بناؤه للمجهول، في قراءة نافع فبانظر لما قبله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بالبناء للمجهول، فناسب أن يأتي به مبنياً للمجهول هنا⁽²⁾.

الوعد بالمغفرة
المعيّة، إذ جعل
لهم مغفرة
خاصّة بهم

تأخير الخطايا في
مقام الاستغفار
أبلغ؛ لدلالته
على الإهمال
والتغاضي

وسعت رحمة
الله السموات
والأرض؛ فإن
يغفر فإنّه يغفر
جماً

اختلاف القراءة
سعة في المعنى،
وتلوّن في الدلالة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/136.

(2) الفارسي، الحجة: 3/65 - 66.

التَّغْبِيرُ عَنْ
الْخَطَايَا بِالكَثْرَةِ
يُنَاسِبُ ذَمَّهُمْ،
وَتَقْلِيلُهَا يُنَاسِبُ
ذِكْرَ الْغُفْرَةِ

بَلَاغَةُ تَوْجِيهِ الْقُرَاءَاتِ الْقَرَاتِيَّةِ، فِي لَفْظِ ﴿حَطِيئَتِكُمْ﴾:

قُرِئَ قوله تعالى: ﴿حَطِيئَتِكُمْ﴾ - من حيث أنواع الجمع والإفراد - على ثلاثة وجوه: بجمع الكثرة (خطيئاتكم)، وبجمع التكسير (خطاياكم)، والإفراد (خطيئتكُم)، أما القراءة بجمع الكثرة، فلما كان السِّيَاقُ لبيان إسرأهم في الكفر، ناسبَ ذلك جمعُ الكثرة؛ إشعارًا بكثرة ذنوبهم، أما القراءة بصيغة الإفراد، وجمع القلَّة، فللإشارة إلى أَنَّ ذُنُوبَهُمْ قَلِيلَةٌ، في جنب عَفْوِهِ ⁽¹⁾، ويمكن أن تكونَ قراءةُ الإفراد، على اعتبار أنَّ الخطيئةَ اسمُ جنسٍ، تشملُ الخطايا كلها، "قال الشَّيرَازِيُّ: إِنَّ فَائِدَةَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ قِرَاءَتِي الْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ لِلْحَطِيئَةِ: أَنَّ هَذِهِ الذَّنُوبَ تُغْفَرُ لَهُمْ إِذَا فَعَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، سِوَاءَ كَانَتْ قَلِيلَةً كَوَاحِدَةً أَوْ كَثِيرَةً"⁽²⁾.

نُكْتَةُ تَرْكِ الْعَطْفِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

جاءَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بلا عطفٍ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا؛ لِأَنَّهُ "اسْتِثْنَاءٌ مَرْتَّبٌ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَمَاذَا بَعْدَ الْغُفْرَانِ؟ فَقِيلَ لَهُ: سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"⁽³⁾، فَلَمَّا أَخْبَرَ بِالْمُغْفَرَةِ بَعْدَ الْاِسْتِغْفَارِ نَشَأَ سَوْأَلٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَاذَا لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَجَاءَ الْجَوَابُ بِالْوَعْدِ؛ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ مِمَّا يَشَاءُ، وَأَفَادَ الْاِسْتِثْنَاءُ أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ "تَفَضَّلُ مُحَضُّ، لَيْسَ فِي مِقَابِلَةِ مَا أَمَرُوا بِهِ"⁽⁴⁾.

فَائِدَةُ دُخُولِ حَرْفِ التَّنْفِيسِ فِي ﴿سَنَزِيدُ﴾:

اِقْتَرَنَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالسَّيْنِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ وَعْدٌ مُنْجَزٌ عَنْ قَرِيبٍ، وَهُوَ وَعْدٌ مُؤَكَّدٌ لَا يُخْلَفُ⁽⁵⁾، وَقَوْلُهُ: "﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: عِدَّةٌ

وَعَدُّ اللَّهِ تَعَالَى
مُنْجَزٌ مُؤَكَّدٌ،
لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ
خُلْفٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/136.

(2) محمد رضا، تفسير النار: 9/314.

(3) الزمخشري، الكشاف: 2/170، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/146.

(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 4/173.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 8/136، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2984.

بشيئين، بالمغفرة وبالزيادة، وطرح الواو هاهنا لا يُخلُ بذلك؛ لأنه استئنافٌ مُرتَّبٌ على تقدير سؤالٍ، نشأ من الإخبار بالغفران، كأنه قيل: فماذا لهم بعد الغفران؟ فقول: ﴿سَنَزِيدُ﴾⁽¹⁾.

فائدة صيغة المضارع، في قوله: ﴿سَنَزِيدُ﴾:

جاء التعبير عن الوعد بالزيادة في قوله عزّ ذكره: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالفعل المضارع؛ للدلالة على أنّ تفضله بزيادة الخير والجزاء لا تنقطع، فِعْطاءُ الكريم لا يليقُ به، إلّا أن يكون دائماً مستمراً.

بلادة حذف متعلّق ﴿سَنَزِيدُ﴾:

جاء التعبير عن الزيادة في قوله جلّ شأنه: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مطلقاً؛ من غير أن يبيّن نوع الزيادة، فالمفعول به في "﴿سَنَزِيدُ﴾" محذوفٌ، تقديره: ثواباً⁽²⁾، فالزيادة أُطلقت من القيود إشعاراً بالتعميم، فتشمل الزيادة كلّ ما ينتظره المحسن من ربه ﷻ، وتخيماً لتلك الزيادة بإيرادها مبهمّةً، فعلم بذلك أنّ تركّ القيد هنا أبلغ من التعبير بنوع الزيادة.

معنى (أل) في لفظ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾:

في قوله جلّ شأنه: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، جاء لفظ (المحسنين) معرّفاً بالألف واللام؛ للدلالة على قوّة الصّفة بهم، فهم من الفئة التي عُرِفَتْ وشُهِرَتْ بكونها مُحْسِنَةً، فصار لفظ (المحسنين) علماً عليهم، فلفظ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾؛ "أي: العريقين في هذا الوصف"⁽³⁾، فهي جنسيّةٌ استغراقيّةٌ، تشمل كلّ مَنْ وُصِفَ بالإحسان.

بلادة ترتيب الأوامر:

في الآية جاءت الأوامر لهم بهذا التّرتيب: ﴿أَسْكُنُوا﴾، ﴿وَكُلُوا﴾

تَفَضُّلُهُ بِالزِّيَادَةِ
مُسْتَمِرٌّ لَا
يَنْقَطِعُ، وَدَائِمٌ
لَا يَزُولُ

الزِّيَادَةُ شَامِلَةٌ
لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ،
مِنْ رَبِّ غَفُورٍ
رَحِيمٍ لِعِبَادِهِ
أَجْمَعٍ

مَنْ عَهِدَ مِنْهُمْ
إِلْحِسَانًا، فَهُمْ
الْمُحْسِنُونَ عِنْدَ
اللّهِ وَالنَّاسِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 3/283.

(2) الشّهاب، عناية القاضى: 4/227، وابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/191.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 8/136.

كُلُّ حُكْمٍ قَضَاهُ
الله، مَوْضُوعٌ
فِي مَوْضِعِهِ؛
لِيُؤَدِّيَ فُخْوَاهُ

التَّبْدِيلُ أَعْقَبَ
الأَمْرَ، وَلَمْ يَكُنْ
بَيْنَهُمَا زَمَانٌ
طَوِيلٌ

مَنْ بَدَّلَ أَوْامِرَ
الله وَوَحْيِهِ،
نَالَهُ غَضَبُ اللهِ
وَسَخَطُهُ

سَبَبُ الْمُسَارَعَةِ
إِلَى التَّبْدِيلِ، مَا
فِيهِمْ مِنْ ظُلْمٍ
قَلَّ لَهُ مِثْلٌ

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ﴿وَادْخُلُوا﴾ ﴿سُجَّدًا﴾؛ وهذا ترتيبٌ يتطابق مع الواقع، فالأمر بالسَّكُن يتوجَّه للقرية تمهيدًا للأمر بدخولها، فبدأ به، والأكل متعلِّق بالسَّكُن، فذكره بعده، والأمر بالاستغفار تعليلٌ لما سيقولون في عبادتهم، وشكرهم لله تعالى النِّعَم المذكورة والأمر بالدَّخُول جاء تاليًا لتلك الممَّهَّدات، ولكونه أثقل ما كُلفوا به، فجاء به آخرًا تفخيماً لشأنه، وإيماءً لشِدَّتِه عليهم.

معنى (الفاء) في قول: ﴿فَبَدَّلَ﴾:

عُطِفَ قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ بالفاء؛ للدلالة على سرعة معصيتهم، وأن هذا التَّبدِيل وقع عَقِبَ أمرهم بالاستغفار، حيث لم يكونوا قد نَسُوا الأمر، أو غفلوا عنه سهواً، إشارةً إلى سوء طويبتهم.

نكتة التَّعبير بالفعل ﴿فَبَدَّلَ﴾:

عَبَّرَ الْقُرْآنُ عَنْ معصيتهم بامتناع بعضهم عن أداء القولِ الَّذِي أُمِرُوا به، فقال ﷻ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، فأعرضوا عما أُمِرُوا به، ووضعوا موضعه قَوْلًا آخر⁽¹⁾. والإشارة بالقول إلى قول بني إسرائيل: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ أَوْ حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ⁽²⁾، فجاءوا بلفظٍ مشابهٍ لما أُمِرُوا به، ولا يدلُّ على المراد منهم؛ حيث "بدَّلُوا بما أُمِرُوا به مِنْ التَّوْبَةِ والاستغفار، طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا"⁽³⁾.

فائدة مجيء الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾:

في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، عَبَّرَ عَنْهُمْ بالموصول دون الضَّمير، فلم يُقَل: (فبدلوا)؛ إظهارًا لعلَّة فعلهم ذلك، بما

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

(2) ابن عطية، للحزر الوجيز: 2/467.

(3) الشَّهاب، غاية القاصي: 4/227.

عبّرت عنه صلة الموصول، فوضع "المُظْهَر موضع المضمَر؛ ليدلّ على أنّ التّبدِيلَ ظَلَمٌ، أو مسبّبٌ عن ظلمهم وعادتهم في وضع الأشياء غير مواضعها، وأنّ المبدّلين بعضُهم لا كلّهم"⁽¹⁾؛ إذ لو قال: (فبدّلوا) لدلّ على أنّ التّبدِيلَ وقع مِنْهُمْ كلّهم، وفي ذلك إشارة إلى أنّهم "كانوا صنفين؛ ظالماً وعادلاً، فبدّل الظّالم، ولم يبدّل العادل"⁽²⁾.

نكتة مجيء جملة صلة الموصول: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

جاءت صلة الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفعل الماضي؛ إشارة إلى رسوخ صفة الظلم فيهم، فهم قومٌ قد سبق منهم الظلم، واشتهروا به، فلا عجب أن يتجاوزوا حدّهم مرّة أخرى، بالتّعدي على أمر الله تعالى، كما أنّه يدلّ على أنّ ما قاموا به من تبديل المقول، إنّما كان ظلماً بوضع الأمور في غير مواضعها.

معنى (من) في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قيدٌ بشبه الجملة ﴿مِنْهُمْ﴾؛ للدلالة على أنّ المبدّلين كانوا بعضاً منهم، لا كلّهم⁽³⁾، وهذا يجري على عادة القرآن الثّابتة في الإنصاف؛ حيث لم يعمّم الوصف السيّئ على غير من قام به، عدالة وإنصافاً وحفظاً للحقوق.

عود الضمير في شبه الجملة: ﴿مِنْهُمْ﴾:

يعود الضمير في شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، على الذين أمروا بدخول القرية، وما بعده من الأوامر؛ "لزيادة البيان؛ أي: بدلّ الذي ظلموا من هؤلاء"⁽⁴⁾، وفي هذا الضمير إحالة على من تلقّوا تلك النعم والأوامر؛ إعلالاً بأنّ الذين بدّلوا كانوا قد علّموا تلك النعم، وسمعوا ما طُلب منهم، فإذا لم يأتوا بما

الظّلم طنبّع
راسخ فيهم،
وقد صار مميّزاً
لهم عن سواهم

القرآن مُنصفٌ
في عدمِ
التّعميم، حيث
خصّ منهم من
بدّل

الإشارة إلى
سبب نسبة
الظلم إليهم،
بتبديل القول
عن علم وإصرارٍ

(1) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/193.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2985.

(3) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/193.

(4) الألوسي، روح المعاني: 5/84.

طُلِبَ منهم، فإنَّهم جديرون بأن يُوصَفوا بالظُّلم، فالصِّميرُ يشيرُ إلى سبب نسبة الظُّلم إليهم؛ حيث إنَّهم كان ينبغي أن يقابلوا تلك النِّعمَ بالشُّكر، من خلال طاعتهم واستجابتهم، ولكنَّهم أَعرضوا، وبدَّلوا ما طُلِبَ منهم.

سِرٌّ مجيء ﴿مِنْهُمْ﴾ وتقديمها على المفعول:

قيَّد الظَّالِمين في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بشبه الجملة ﴿مِنْهُمْ﴾؛ "لئلاَّ يَتَوَهَّم أَنَّهُم مِنَ الدِّخْلَاءِ فيهم"⁽¹⁾، ففي ذلك زيادةٌ بيانٍ وإيضاحٍ.

وقدَّم شبه الجملة ﴿مِنْهُمْ﴾ لتعلُّقها بالفاعل، فأوفى الفاعلَ مُتعلِّقاته وأوصافه، ليأتي البيانُ على أتمِّه وأفصحِهِ، كما أنَّه لو أخره وجاء بعد المفعول به؛ لاختلَّ المعنى، وصار التركيبُ ركيكاً بعيداً عن الفصاحة.

نكتة تنكير لفظ ﴿قَوْلًا﴾:

عَبَّرَ عن القول بصيغة التَّنكير: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾؛ تحقيراً وتقليلًا لشأن مقولهم، حيث أَعرضوا عما أُمِرُوا به، "ووضعوا موضعه قَوْلًا آخر ممَّا لا خيرَ فيه"⁽²⁾، فالتَّنكيرُ دلٌّ على أنَّ ما جاؤوا به إنَّما هو قولٌ لا يُؤْبَهُ له تحقيراً له.

موقع ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ من البلاغة والإعراب:

الجملة في قوله جَلَّ شأنه: ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ صفةٌ لـ ﴿قَوْلًا﴾، وصرَّح بهذه الصِّفة مع أنَّ التَّبدِيلَ يدلُّ على التَّغيير؛ إذ لو اكتفى بقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ لدلَّ على أنَّهم جاؤوا بلفظٍ آخر مغايرٍ، فإنَّما صرَّح بالمغايرة؛ "تحقيقاً للمخالفة، وتنصيصاً على المغايرة من كلِّ وجه"⁽³⁾. ويُضافُ إلى ذلك أنَّه نصَّ على أنَّ

علَّة تأخير
الفاعل ترتبط
بمراعاة البيان،
وتلاد في اختلال
المعنى

ما قالوه عوضاً
عما أُمِرُوا به،
مقول لا خيرَ
فيه، ولا قيمة
له

ما قالوه مُغايرٍ
لما سَمِعوه
البتَّة، لكونهم
بدَّلوه، وهم
ظالمون

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/137.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/283.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/284، والآلوسي، روح المعاني: 5/84.

التَّغْيِيرَ وَقَعَ بالقول، وفيه إشارة إلى أَنَّ مَنْ جَرَّوْهُ عَلَى الإِعْرَاضِ عَنْ
أَدَاءِ قَوْلٍ لَا يُكَلِّفُ جُهْدًا، كَانَ أَجْرًا عَلَى الإِعْرَاضِ عَنْ سَائِرِ الْأَفْعَالِ
والعبادات الأخرى.

فَائِدَةُ التَّغْيِيرِ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ وَصِلَتِهِ، فِي: ﴿الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿غَيَّرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، عَبَّرَ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ
(الَّذِي) مَعَ صِلَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ فِعْلَ الْقَوْلِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَقُولٍ مَعْهُودٍ،
وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾؛ إِعْلَامًا بِأَنَّهُمْ غَيَّرُوا جَاهِلِينَ لَمَّا
طُلِبَ مِنْهُمْ، فَهُوَ قَوْلٌ يَعْرِفُونَهُ، وَيَكْشِفُ هَذَا إِصْرَازَهُمْ عَلَى اجْتِرَاحِ
هَذَا الْمُنْكَرِ.

نُكْتَةُ مَجِيءِ ﴿قِيلَ﴾ مَبْنِيَّةً لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ:

جَاءَ الْفِعْلُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ لِلْعِلْمِ
بِالْفَاعِلِ؛ إِذْ إِنَّهُ "مَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْقَائِلَ مَنْ لَهُ الْإِزَامُهُمْ"⁽¹⁾. كَمَا أَنَّ فِيهِ
إِيجَازًا بَلِيغًا، إِذْ لَوْ جَاءَ مَبْنِيًّا لِلْمَعْلُومِ لَقَالَ: (غَيْرَ الَّذِي قَالَهُ اللَّهُ لَهُمْ).

مَعْنَى اللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ﴾:

عَبَّرَ عَنِ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ قَدْ وَصَلَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾،
فَاللَّامُ لِلتَّلْعِيلِ، وَجَاءَتْ تَأْكِيدًا لِمَعْرِفَتِهِمْ بِهَذَا الْقَوْلِ، فَهُوَ قَدْ بَلَغَهُمْ،
وَأَنَّهُمْ كَانُوا مَقْصُودِينَ بِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَأْكِيدِ مَضْمُونِ الْقَوْلِ،
إِذْ إِنَّهُ قِيلَ لِمَعِينٍ قَصْدًا لِإِبْلَاغِهِ بِهِ، وَلَيْسَ قَوْلًا عَرَضًا وَلَا عَامًّا، قَدْ
اِخْتَصَّصَهُمْ بِأَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ، دَلَالَةً عَلَى أَهْمِيَّتِهِ، وَتَأْكِيدًا لِبَلُوغِهِ لَهُمْ.

مَعْنَى (الفاء) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾:

عُطِفَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عَلَى
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾
بِالْفَاءِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أُرْسِلَ الرَّجْزُ عَلَيْهِمْ "إِثْرَ مَا فَعَلُوا مِنْ

حِينَ أَعْرَضُوا
عَمَّا قِيلَ لَهُمْ،
كَانُوا مُصِرِّينَ
غَيْرِ جَاهِلِينَ

لَمَّا عَلِمَ الْقَائِلُ
أَسْتَغْنَى عَنْ
ذِكْرِهِ لِلِإِيجَازِ فِي
التَّغْيِيرِ

الْقَوْلُ قَدْ
بَلَغَهُمْ، وَقِيلَ
لَهُمْ، مُوَاجِهَةً
وَمُشَافَهَةً

جَاءَهُمُ الْعَذَابُ
بَعْدَ ازْتِكَابِ
الْمَعَاصِي، سَرِيعًا
بِلَا مُهْلَةٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/137.

غير تأخير⁽¹⁾، فكما أنَّهم أسرعوا فبدَّلوا القولَ إثرَ ما قيلَ لهم،
فكَذلكَ جاءَهم العِقَابُ سَريعًا إثرَ عَصِيَانِهِم.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ (نا)، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾:

جاءَ الفعلُ (أرسل) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ مُسْتَنَدًا إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ؛ تَعْظِيمًا لِّذَلِكَ الْإِرْسَالِ؛ أَي: أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْعَذَابَ، بِمَا لَنَا مِنَ الْعِظْمَةِ؛ تَفْخِيمًا لِلْعَذَابِ، وَتَهْوِيلًا لَهُ.

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ الْإِرْسَالِ بِ(على):

جاءَ الفعلُ (أرسل) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، مُتَعَدِّيًا بِالْحَرْفِ (على)؛ لِأَنَّ إِرْسَالَ الْعَذَابِ مِنَ الْأَعْلَى، وَ"الْإِرْسَالُ مِنَ فَوْقَ، فَيَكُونُ كَالْإِنْزَالِ"⁽²⁾، فَالْإِرْسَالُ تَضَمَّنَ الْإِنْزَالَ؛ لِأَنَّ الرَّجْزَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، فَفِي التَّضَمُّينِ تَظْهَرُ قُوَّةُ الْفَعْلَيْنِ: الْإِرْسَالِ وَالْإِنْزَالِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنْهُمْ بِالضَّمِيرِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾:

فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، عَبَّرَ عَنْهُمْ بِالضَّمِيرِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكْرَّرَ الْمَوْصُولَ، فَلَمْ يَقُلْ: (فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) إِيْجَازًا، وَلِأَنَّ الضَّمِيرَ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْقَوْمُ جَمِيعًا، وَهَذَا الْاِحْتِمَالُ يَدُلُّ عَلَى عَمُومِ الْعَذَابِ، وَفِي ذَلِكَ تَهْوِيلٌ لِّمَا نَزَلَ بِهِم مِنَ الرَّجْزِ⁽³⁾.

عَرَضُ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ (عَلَيْهِمْ)، عَلَى الْفَعُولِ:

قَدَّمَ شِبْهَ الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَلَمْ يَقُلْ: (فَأَرْسَلْنَا رِجْزًا عَلَيْهِمْ)؛

العَذَابُ الْمُرْسَلُ
إِلَيْهِمْ مُهْلِكٌ؛
لَأَنَّهُ صَادِرٌ مِنَ
اللَّهِ الْعَظِيمِ ﷻ

الرَّجْزُ نَزَلَ
عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُونَ،
فَأَذَاقَهُمْ عَذَابَ
الْهُونِ

تهويلُ العَذَابِ،
بِجَعْلِهِ مُخْتَمِئًا
لِلْعُمُومِ

الرَّجْزُ أَنْزَلَ
عَلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ
الْخُصُوصِ لَا
يَتَعَدَّاهُم

(1) الألويسي، روح المعاني: 5/84.

(2) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 3/284.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 8/137.

تخصيصاً لهم بهذا الرّجز، فهو عذابٌ خاصٌّ بهم، لا يتعداهم إلى غيرهم.

نُكْتَةُ تَكْبِيرٍ ﴿رَجْزًا﴾، فِي: ﴿رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾:

في قوله عزّ ذكره: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، جاء لفظُ الرّجزِ نكرةً؛ تهويلاً له، وتفخيماً لشأنه، فإنّ الإبهام يدلُّ على تعظيم الأمرِ وتفخيمه، والتّكثيرُ الدّالُّ على التّهويلِ والتّفخيمِ مناسبٌ للتّعظيمِ المعبر عنه بضمير الجمع في (أرسلنا)، والآية بُنيت كلّها على التّعظيمِ والتّفخيمِ.

معنى (مِن) في قوله: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾:

أفادَ الحرفُ (مِن) في قوله تعالى: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾، على ابتداء ورودِ هذا العذاب، فهو واردٌ من السّماء، وهذا يدلُّ على مزيدٍ من التّفخيمِ والتّهويلِ، فما كان وارداً من السّماء، فإنّه يأتي بالعظمة والعلوّ والقوّة، والمنزل: ﴿رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: عذاباً شديداً، إمّا الطّاعون وإمّا غيره من العقوبات السّماوية.

فائدةٌ مجيء شبه الجملة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾:

وُصِفَ الرّجزُ بأنّه: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: أنّه عذابٌ "في غاية الاشتداد، خارجاً عن حدِّ المعتاد، فإنّ النسبةَ إلى السّماء للإشارة إلى هذا المعنى"⁽¹⁾، ووصفه بذلك تصريحٌ بأنّه لا يردّ، وأنّه واقعٌ بهم على الحتم.

معنى (أل) في لفظِ ﴿السَّمَاءِ﴾:

عرّفَ السّماءُ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالألف واللام الدّالة على العهد، زيادةً في بيان جهة نزولِ العذاب، فهو نازلٌ من السّماء التي لا يأتي منها إلّا شيء يتّصفُ بالغرابة والعظمة.

الرّجْزُ الَّذِي
أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِمْ رَجْزٌ
عَظِيمٌ

الرّجْزُ عَظِيمٌ،
لأنّه نَزَلَ عَلَيْهِمْ
وَارِداً مِنَ السَّمَاءِ

ما كان وارداً من
السّماء، فهو
جليلاً الشّأن،
حتّى يوقّع

ما ينزل من
السّماء إلّا
مُعْجَزٌ مُّذهِشٌ

(1) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/193.

معنى الباء، في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾:

عقب على إرسال الرّجز عليهم، بقوله جلّ شأنه: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، مُصدراً بالباء الدّالة على السّببيّة؛ للدّلالة على أنّ ما نالهم إنّما كان بسبب ظلمهم، وأنّ الله تعالى لا يعذب أحداً من عباده، إلّا بموجب يستحقّ به ذلك العذاب.

معنى (ما) بين المصدريّة والموصوليّة:

في قوله جلّ شأنه: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، عبّر بـ (ما) المصدريّة في الجملة المسوقة لتعليل العذاب الذي نزل عليهم؛ أي: "بسبب ظلمهم المستمرّ السابق"⁽¹⁾؛ تقويّة لمضمون الجملة، فإنّ التعبير بالمصدر المؤوّل باسم، يدلّ على ثبات المعنى وتأكيدِه. ويمكن أن تكون موصولة بمعنى: (بالذي كانوا يظلمون أنفسهم فيه).

يسرُّ وجود (كانوا) مع الخبر ﴿يَظْلِمُونَ﴾:

أدخل (كان) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، ولم يقل: (بما يظلمون)؛ إشارة إلى أنّهم عريقون بالظلم، متصفون به، بحيث لا ينفكّون عنه، فهو دائمٌ بهم، كما أنّ فيه دلالة على الإصرار عليه.

بلاغة التّعبير بلفظ ﴿يَظْلِمُونَ﴾:

عبّر عن ظلمهم بالفعل المضارع، فقال جلّ شأنه: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾؛ أي: بسبب "ظلمهم المستمرّ السابق واللاحق حسبما يفيدُه الجمع، بين صيغتي الماضي والمستقبل، لا بسبب التّبديل فقط"⁽²⁾، فهم يزاولون الظلم، ولا ينفكّون عنه، يجدّدونه كلّ حين.

بلاغة التشابه اللفظي بين آيتي الأعراف (161 - 162)، وآيتي البقرة (58 - 59):

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ

الرّجز إنّما نزل
عليهم بسبب
ظلمهم،
وما كان الله
ليظلمهم

إنّ الله ليُملي
للظّالم، حتّى
إذا أخذه لم
يُفْلته

الظلم طبع
راسخ فيهم،
وهم لا ينفكّون
عنه بتاتاً

الظلم متجدّد
مستمرّ، راسخ
في طبّعهم،
وفساد أهوائهم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/284.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/284.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ [الأعراف: 161 - 162] يشابهه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة: 58 - 59].

ويلاحظ أنَّ بينهما تفاوتًا من وجوه:

الأول: أنَّه عَيَّنَ القائلَ في سورة البقرة، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، وهنا أبهمه فقال: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾؛ فعبر بالمبني للمجهول؛ "إعلامًا للسامع بأنَّ هذا القائل هو ذاك"^(١)، فحذف الفاعل للعلم به؛ لأنَّ هذا القول لا يصدرُ إلاَّ من الله تعالى^(٢).

الثاني: قال في سورة البقرة: ﴿ادْخُلُوا﴾، وقال هنا: ﴿أَسْكُنُوا﴾؛ والسكنى تأتي بعد الدَّخول، "فأمروا هناك بالمبدأ وهنا بما تسبَّب عنه"^(٣)، وكلا القولين قِيلا لهم، "ففرَّق ذلك على القصّتين على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص؛ استجدادًا لنشاط السامع"^(٤).

والثالث: قال في سورة البقرة: ﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء، وهنا: ﴿وَكُلُوا﴾ بالواو، "فجاء العطفُ هناك بالفاء؛ لأنَّ بدءَ الأكل يكون عقبَ الدَّخول، كأكل الثَّمرات والفواكه التي تكون في كلِّ ناحيةٍ من القرية، أمَّا السكنى فأمراً ممتدُّ يكون الأكلُ في أثنائها لا عقبه"^(٥)، وتعجيلُ

(١) ابن عادل، اللّباب: 9/354.

(٢) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 4/173، وابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 9/144.

(٣) تفسير ابن كمال باشا: 4/173، والراغبي، تفسير الراغبي: 9/90 - 91.

(٤) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 9/144.

(٥) الراغبي، تفسير الراغبي: 9/90 - 91، والطَّيْبِي، فتوح الغيب: 6/626، وابن كمال باشا، تفسير ابن

كمال باشا: 4/173.

بين الآيات
المتشابهة فروق
في التَّعبير،
اقتضتها مناسبة
السَّياق

الانتفاع الدال عليه العطف بالفاء، يدل على شدة الامتنان، وهذا أنسب للقصة في سورة البقرة؛ لأنها جاءت للتوبيخ⁽¹⁾.

والرابع: قال في البقرة: ﴿رَغَدًا﴾، ولم يذكرها هنا؛ لأن الأمر في البقرة كان بالدخول لا بالسكن، فأثبت ﴿رَغَدًا﴾ "بعد الأمر بالدخول؛ لأنها حالة قدم، فالأكل فيها ألدُّ، بخلاف السكنى المذكور هنا، فإنها حالة استقرار واطمئنان، فليس الأكل فيها كالأكل عند الدخول"⁽²⁾، وفي ذلك مزيد من الامتنان، وهو أنسب في التوبيخ هناك⁽³⁾.

والخامس: قدّم في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ على قوله جلّ شأنه: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾، وفي الأعراف على العكس؛ ولا تفاوت في ذلك؛ لأن العطف بينهما جاء بحرف الواو الدالة على الجمع دون الترتيب⁽⁴⁾، "فالاختلاف في التعبير دال على عدم الفرق بين تقديم هذا وتأخير ذاك، وبين عكسه، إذ لا فارق بين أن يدعوا بقولهم: ﴿حِطَّةً﴾. في حال التلبس بالتواضع والخضوع، وتنكيس الرؤوس، شكرًا لله على نعمه، عند دخول القرية - وبين أن يبدؤوا بتنكيس الرؤوس والخضوع والتواضع، ثم يدعوا بقولهم: ﴿حِطَّةً﴾"⁽⁵⁾.

والسادس: قال في البقرة: ﴿حَطَّيْتُكُمْ﴾ [البقرة: 58]، وهنا قال: ﴿حَطَّيْتُكُمْ﴾؛ وذلك إشارة "إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة؛ فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع"⁽⁶⁾.

والسابع: قال في البقرة: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58] بالواو، وفي الأعراف بحذفها؛ فأخرج العبارة في الأعراف "مخرج الاستئناف؛ للدلالة على أنه تفضّل محض، ليس في مقابلة ما أمروا به"⁽⁷⁾، فترك الواو يدل على أن الزيادة من الله تعالى، وليست سببًا لما سبق ذكره من الخضوع والسجود والاستغفار⁽⁸⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/145.

(2) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 4/173.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/146.

(4) الغليمي، فتح الرحمن: 3/48، وابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 4/173.

(5) الراغي، تفسير الراغي: 9/90 - 91.

(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/390، والآلوسي، روح المعاني: 5/83.

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/39، وابن عادل، اللباب: 9/355.

(8) الراغي، تفسير الراغي: 9/90 - 91.

والثامن: قال في البقرة: ﴿قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا﴾ [البقرة: 59]، وهنا قال: ﴿قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ بزيادة ﴿مِنْهُمْ﴾؛ للتصريح بأنَّ "تبدیل القول لم یصدر من جميعهم، وأَجْمَلَ ذلك في سورة البقرة؛ لأنَّ آية البقرة لما سِيقَتْ مَسَاقِ التَّوْبِیْخِ نَاسَبَ إِرْهَابُهُمْ بِمَا يُوهَمُ أَنَّ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ هُم جَمِیعُ الْقَوْمِ؛ لِأَنَّ تَبَعَاتِ بَعْضِ الْقَبِيلَةِ تُحْمَلُ عَلَى جَمَاعَتِهَا"⁽¹⁾.

والتاسع: قال في البقرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾ [البقرة: 59]، وهنا قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾؛ وذلك لأنَّ "الإنزال لا يُشْعِرُ بالكثرة، والإرسال يُشْعِرُ بها، فكأنَّه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل، ثمَّ جعله كثيرًا"⁽²⁾.

والعاشر: في البقرة أعاد الموصول: ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: 59]، وهنا بالضمير ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ "لأنَّ القصدَ في آية البقرة بيانُ سببِ إنزالِ العذابِ عليهم مرَّتين، أُشِيرَ إلى أولاهما بما يُؤمِّئُ إليه الموصولُ من علَّةِ الحُكْمِ، وإلى الثانية بحرف السَّبَبِيةِ، واقتصر هنا على الثاني"⁽³⁾، فقال: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

والحادي عشر: قال في البقرة: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: 59]، وقال هنا: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾؛ "لأنَّه لما اقتضى الحالُ في القِصَّتَيْنِ تأكيدُ وصفهم بالظلم، وأُدِّيَ ذلك في البقرة بقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: 59]، اسْتَتَقَلَّتْ إِعَادَةُ لَفْظِ الظُّلْمِ هُنَاكَ ثَالِثَةً، فَعُدِلَ عَنْهُ إِلَى مَا يُفِيدُ مَفَادَهُ، وَهُوَ الْفِسْقُ، وَهُوَ أَيْضًا أَعْمٌ، فَهُوَ أَنْسَبُ بِتَدْوِيلِ التَّوْبِیْخِ، وَجِيءَ هُنَا بِلَفْظِ ﴿يَظْلِمُونَ﴾؛ لِئَلَّا يَفُوتَ تَسْجِيلُ الظُّلْمِ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَالِثَةً، فَكَانَ تَدْوِيلُ آيَةِ الْبَقَرَةِ أَنْسَبَ بِالْتَّغْلِیْطِ فِي ذِمَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ مَقَامَ التَّوْبِیْخِ يَقْتَضِيهِ"⁽⁴⁾.

❖ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الخطايا والذنوب والآثام:

الخطيئةُ من (خطأ)، وأصله يدلُّ على تَعَدِّي الشَّيْءِ، والدَّهَابِ عَنْهُ. وَالْخَطَأُ مُجَاوِزُهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/145.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/390.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/145.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/145.

الخطيئة تدلُّ
على التعدي
والتجاوز على
الحدِّ الموضوع،
وفيها قصد
وإرادة

حَدِّ الصَّوَابِ. يُقَالُ أَخْطَأَ إِذَا تَعَدَّى الصَّوَابَ، وَخَطِئَ يَخْطِئُ، إِذَا أَذْنَبَ؛ لِأَنَّهُ يَتْرُكُ الْوَجْهَ الْخَيْرَ. وَهُوَ ضِدُّ الصَّوَابِ⁽¹⁾.
وَالِإِثْمُ مِنْ (أَثَمَ)، وَأَصْلُهُ يَدُلُّ عَلَى الْبُطْءِ وَالتَّأَخُّرِ، يُقَالُ: نَاقَةٌ أَثَمَةٌ؛ أَي: مُتَأَخِّرَةٌ، وَالِإِثْمُ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ ذَا الْإِثْمِ بَطِيءٌ عَنِ الْخَيْرِ، مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ. فَالِإِثْمُ: الذَّنْبُ، وَهُوَ اسْمٌ لِلأَفْعَالِ الْبَطِيئَةِ عَنِ الْخَيْرَاتِ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْبُطْءِ⁽²⁾.

وَالذَّنْبُ مِنْ (ذَنَبَ)، وَأَصْلُهُ يَدُلُّ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ ذَنْبٌ الدَّابَّةِ، وَيَعْبَرُ بِهِ عَنِ الْمَتَأَخَّرِ وَالرَّذَلِ، وَالذَّنْبُ فِي الْأَصْلِ: الْأَخْذُ بِذَنْبِ الشَّيْءِ، وَسُمِّيَ الذَّنْبُ اعْتِبَارًا لِمَا يَحْصُلُ مِنْ عَاقِبَتِهِ⁽³⁾.

فِيْلَا حَظَّ أَنْ فَرَّقَ الْخَطِيئَةَ؛ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى التَّعْدِي وَالتَّجَاوُزِ عَلَى الْحَدِّ الْمَوْضُوعِ، وَفِيهَا قَصْدٌ وَإِرَادَةٌ، لَمَّا فِي الْجَذْرِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى الْاِمْتِدَادِ وَالْاِنْدِفَاعِ، مَنْ التَّأَخَّرَ وَالتَّثَاقَلَ، عَنْ فِعْلِ الطَّاعَةِ. وَالذَّنْبُ الْفِعْلُ السَّيِّئُ بِاعْتِبَارِ مَالِهِ وَعَاقِبَتِهِ، فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ مِنَ التَّقَدُّمِ وَالتَّجَاوُزِ، وَهِيَ الْإِثْمُ الَّذِي فِيهِ مَجَاوِزَةُ الصَّوَابِ، وَتَعْدِي الْحَدِّ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ يَنَاسِبُ ذِكْرَ الْمَغْفِرَةِ، فَهِيَ تَشْمَلُ حَتَّى الْأَفْعَالِ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْهُمْ، وَفِيهَا مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ وَالتَّعْدِي.

أرسلنا وبعثنا:

الْبَعْثُ أَعْمٌ مِنَ الْإِرْسَالِ؛ لِأَنَّهُ "يَجُوزُ أَنْ يَبْعَثَ الرَّجُلُ إِلَى الْآخَرِ؛ لِحَاجَةٍ تَخْصُّهُ دُونَكَ وَدُونَ الْمُبْعُوثِ إِلَيْهِ، كَالصَّبِيِّ تَبْعَثُهُ إِلَى الْمَكْتَبِ، فَتَقُولُ: بَعَثْتُهُ، وَلَا تَقُولُ: أَرْسَلْتُهُ؛ لِأَنَّ الْإِرْسَالَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِرِسَالَةٍ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا"⁽⁴⁾. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا

إِزْسَالًا
العذاب يكون
من الأعلى،
ويتضمن معنى
الإنزال عادة

(1) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين الحلي، العمدة: (خطأ).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين الحلي، العمدة: (أثم).

(3) الزاغب، المفردات: (ذنب).

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 289.

مِّنَ السَّمَاءِ ﴿١﴾ أثر التعبير بالإرسال؛ لأنه يتضمن العذاب المعبر عنه بالرجز، ولذا جاء مُتَعَدِّيًا بالحرف (على)؛ لأنَّ إرسال العذاب من الأعلى، و"الإرسال من فوق، فيكون كالإنزال"^(١)، فالإرسال تضمن الإنزال؛ لأنَّ الرجز نزل عليهم من السماء.

الظلم والفسق:

الفسق من (فسق)، وأصله من قولهم: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره، وهو الخروج عن الطاعة. فسق فلان: خرج عن حجر الشرع، وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تُعَوِّف فيما كان كثيرًا. وأكثر ما يُقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع، وأقر به، ثمَّ أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه، فالفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق^(٢).

أما الظلم فهو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يُقال: ظلمت السقاء: إذا تناولته في غير وقته^(٣). وفي قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ عبّر بالظلم؛ لأنَّهم بدلوا القول، فتركوا ما أمرُوا به، ووضعوا قولاً آخر في موضعه.

الرجز والصاعقة:

الرجز من (رجز)، وأصله يدلُّ على اضطراب، وهو داءٌ يصيب الإبل في أعجازها، بأن تضطرب رجل البعير أو فخذه، إذا أراد القيام، أو ثار ساعة، ثمَّ تنبسط. والرجز: القدر، مثل الرجس. والرجز: العذاب^(٤)، ويُطلق على العذاب الموجب للاضطراب^(٥).

عبّر بالظلم
لأنَّهم بدلوا
القول، فتركوا
الأمر ووضعوا
قَوْلهم في
موضعه

عبّر عن عذابهم
بالرجز؛ إذ لم
يكن عذاب أهل
القرية بصوت أو
صنحة

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/284.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزغب، للفردات: (فسق).

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزغب، للفردات: (ظلم).

(٤) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزغب، للفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خطأ).

(٥) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 1/193.

والصَّاعِقَةُ من (صعق)، وأصله يدلُّ على شِدَّةِ صوتٍ، من ذلك الصَّعَق، وهو الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، يُقال: حمارٌ صَعِقَ الصَّوْتُ إذا كان شديدهً، ومنه الصَّاعِقَةُ، وهي الوقْعُ الشَّدِيدُ من الرَّعد، ثمَّ يكون منها نارٌ فقط، أو عذابٌ، أو موتٌ، وهي في ذاتها شيءٌ واحدٌ، وهذه الأشياءُ تأثيراتٌ منها.

فمن استعمالها بمعنى العذاب، قوله تعالى: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ [فصلت: 13]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عبَّرَ عن عذابهم بالرجز؛ إذ لم يكن عذابُ أهلِ القريةِ بصوتٍ أو صيحةٍ، فعبَّرَ عنه بما يدلُّ على العذابِ الموجبِ للاضطراب، وهو عذابٌ شديدٌ الفظاعةِ والوقع؛ بأن مَسَخَهم.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع
القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي]. -
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 14، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-10-4

يشتمل على إرجاعات ببلوجرافية.

مج. 14: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.

1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-768-10-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»